



عجبية تلك الأيام، تتساقط كأوراق الخريف، وتخفي كالطيور المهاجرة، و لا يبقى منها إلا الذكريات والغَبر.. عاشوا طويلاً في أحضان الصحراء، تحملهم حُيوانِهم، وتطعمُهم رماحُهم، وتبلغُ الآفاقَ أنفَّهم.. صقلت نُفوسهم قساوة الحياة فيها، وأطربت مسامِعهم قوافي مُدعِّيها، فتعايشوا معها السنين الطِوال، لا يُنْغَص عيشهم إلا جاهليَّة جهلاء، ابتليت بها البشرية بأكملها، على فترٍ من الرسل وضلالٍ من الناس.

فما أُوشكت الساعةُ أن تقوم إلا بعثَ الله فيهم رسولاً من أنفسهم يبلغُهم رسالةً ربِّهم ويعلّمُهم أركانَ دينهم ويرشدُهم سبلَ الهدى والفلاح، فاتبعوه بإحسانٍ ويقين، وساروا معه يشقون عبابَ الأرض دعوةً وجهاداً، فقرآنهم يهدي الضلال، وسيفهمون يقصِّمُ الطغاة.

وكل دعوةٍ ناشئةٍ يقفُ أشقياءُ الأرض بالمرصاد لها، همَّهم إطفاءُ نورِ الله بأفواهم، ومناصبُ أهلها العداء، فما عرفوا القوم إلا عباداً لهم أذلاء، يرعنون الإبل والشاة، لا يجمعُهم رأيٌ ولا توحدهم كلمة.

تنصارعُ قوى الأرضِ من حولِهم فُرساً كانوا أم رومانٍ ويبيرونَ هم الغنائم المنتظرة، فتارةً تخضع الشامُ لذاك وتارةً تدينُ العراقُ الآخر.

لكنَّ أمراً عجيباً يحدثُ الآن، فالقوم ليسوا القوم، آمالُهم تحولت وتطلعُاتهم اختارت، فاستبدلوا سياسةَ الإبلِ بسياسةِ الشعوب، وانتقلوا من تبعيةِ البشر إلى تبعيةِ اللهِ العظيم.

فما عادت أقوى جُيوش الأرض تخيفُهم ولا أكثر الحشود ترهبهم، فهم المؤيدون بالرسالةِ والوحى، الحاملون للواءِ الهدى والفلاح، الموعودون بالنصرِ الإلهي.. فتراهم يسيرون بإيمانٍ ويقين ينشرون دعوةَ ربِّهم ويزِّيون عن كاهل البشرية أنقالَ الظلم والعبودية المقيمة.

فتحاملَ عليهم من تحامل، وتكلبَ عليهم من تكالب، فها هم بنو فارس يحشدون الحشود ليومٍ مشهود، همَّهم هزيمةَ هذا الوافدِ الجديد وذكريائهم حبيسةَ السلالِ، أغرتهم أعدادٌ كحباتِ الرمال وأمَّهم ماضيَ القومِ القريب، و ما دروا أنها نطةٌ

أو نطحتان ثم لا تكون فارس.

هكذا تنتهي الدول وبتلك السهولة تنهار، فالباطلُ لا يغنى عنهم شيئاً، وما صمد باطلٌ بوجه الحق لعظمِ فيه يوماً، فوعدُ الله تعالى لأتباعِه بالنصر لا يخالطه شكٌ ولا تعتريه ريبة (إنا لننصرُ رسالنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد)، فنصر الله تعالى قادمٌ لا محالة، لا يزعزعُ اليقينَ فيه أىٰ مفترٌ أفاك.

ولما كان دينُ المجرمِ مذ خبرناهم حقداً على هذه الأمةِ و منتببيها، و حلمَ أزلياً بالقضاءِ عليها، تُلاعبُ مخيّلتهم أحلامُ المدائن، و يجيئُ عواطفهم ذلك الملكُ السليب، فيعمي الله به أبصارهم كما أعمى بصائرهم، فتراهم اليوم يرسلون مهج عيونهم و فلذات أكبادهم لأرض الشام الصابرة علّهم يحققون ما عجزَ عنه الآباء، و يعيذون لفارسَ مجده التليد.

أما والله كم وددنا أنْ بيننا وبينهم جبلاً من نار فلا نقربهم ولا يقربوننا، ولكنهم أبوا إلا الكريهة و أرادوا بهذا الدين المكيدة، فسيعلمون عندما تحينُ الساعةُ أننا صُبرْ في الحربِ صُدقْ عند اللقاء ولعلَ الله أن يرى اليومَ مَا يحب.

فما على الشامِ اليوم إلا فسطاطان لا ثالثَ لهما، فسطاطُ للحق وأهله وفسطاطُ للباطل وأهله.. فسطاطُ يجمع صفوف المؤمنين الموحدين، أحفاد الصحابةِ والتابعين.. وفسطاطُ يجمع صفوف الشياطين، ومن والاهم من كفّارٍ وضلالٍ ومنافقين.

فسطاطُ يعلى الدينِ اللهِ رايته، وينزد عن حمى الإسلامِ وأهله، منهجهُ كتابُ الله تعالى وسنةُ نبيه، وهمهُ الرضى والرضوان.. و فسطاطُ يناسبُ هذا الدين العداء، سيفه تغدرُ بالشام وأعينه على البيتِ الحرام. وأحداقُ التاريخ ترقبنا وإياهم، وكأنها لا تبصرُ إلا أسوارَ كسرى...

المصادر: